

أ.د. عامر سليمان

أستاذ متمرس في كلية الآثار

وعضو المجمع العلمي (العراقي)

توجت جامعة الموصل نشاطها الأثاري الذي امتد لأكثر من أربعين سنة بتأسيس كلية الآثار في العام ٢٠٠٨ لتكون بؤرة علمية تستقطب المتخصصين بالآثار الإسلامية والقديمة والمهتمين بتراث المنطقة الشعبي المادي واللغوي وتسهم في تأسيس مكتبة علمية جامعة لتاريخ المنطقة منذ أقدم العصور وحتى الوقت الحاضر فتكون بذلك خير خلف للمكتبة التي أسسها آشور بان إيلي (٦٦٨-٦٢٦ ق.م) قبل أكثر من ألفين وستمئة سنة. وبعد عمل علمي وثقافي وإداري دؤوب، توجت كلية الآثار الفنية عملها هذا بإصدار مجلة 'آثار الرافدين' تشجيعاً للبحث العلمي ونشره وتحفيزاً للعاملين فيها على البحث وأنه ليسعدني حقاً أن البّي طلب السيد رئيس هيئة التحرير والسادة أعضاء الهيئة في المساهمة في الكتابة في عددها الأول. لقد وجدت من المفيد والمناسب أن يسלט الضوء على الخلفية العلمية والآثارية التي مهدت لصدور هذه المجلة، التي نتمنى لها وللمشرفين عليها كل التوفيق والتقدم، ولكلية الآثار النمو والازدهار العلمي.

لقد كان من فلسفة الجامعة وبرامجها العلمية والثقافية منذ أول تأسيسها أن تتفاعل مع المجتمع الذي قامت في وسطه وكان من بين وسائل تحقيق ذلك الكشف عن آثار المنطقة القديمة والإسلامية والمحافظة على تراثها الشعبي كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً. لذا قام وفد رفيع المستوى من الجامعة^(١) بزيارة عدد من المواقع الأثرية القريبة من الموصل، ولاسيما تلك المواقع التي تعمل فيها هيئات التنقيب الأجنبية، للتعرف على الأساليب العلمية المتبعة في التنقيب وكان من المواقع التي زارها الوفد موقع تل الرماح القريب من مدينة تلعفر حيث كانت تعمل فيه بعثة تنقيب بريطانية برئاسة ديفيد اوتس.

استقر الرأي بعد مسح المنطقة آثرياً على اختيار ثلاثة من المواقع الأثرية القريبة من الجامعة للتنقيب فيها والكشف عن آثارها ومن ثم صيانتها وفق الأساليب العلمية المعتمدة عالمياً، كما كان من أهداف الجامعة أن تزج المتخصصين بالآثار من التدريسيين والفنيين في أعمال التنقيب الفعلية والصيانة ليكتسبوا خبرة علمية تمكنهم من إعداد كادر علمي متخصص في المستقبل.

كان الموقع الأول الذي اختير للتنقيب هو سور نينوى الشمالي الملاصق تقريباً لأبنية الجامعة وكان جزء السور الغربي يبطن داخله بقايا إحدى بوابات مدينة نينوى الثمانية عشر التي ورد ذكرها في النصوص المسامرية بصيغة بوابة أد أد أبُل أد abul Adad في حين اختير موقع باشطابيا الواقع وسط مدينة الموصل بالقرب من مجمع كلية الطب من بين المواقع الإسلامية الكثيرة الموجودة في المنطقة. وتمثل باشطابيا القلعة الرئيسة في مدينة الموصل، كما يوضح ذلك اسمها التركي، والتي اشتهرت بمقاومتها الباسلة وصدّها للغزو الصفوي الذي قاده نادر شاه على الموصل في القرن الثامن عشر الميلادي والذي يذكره التاريخ بإجلال وإكبار. أما الموقع الثالث، وهو موقع شريخان، فيقع إلى الشمال من أبنية الجامعة ببضع كيلومترات ولقد اتخذت الإجراءات الرسمية اللازمة للحصول على موافقة مديرية الآثار العامة التابعة لوزارة الإعلام آنذاك على قيام هيئة علمية وفنية من جامعة الموصل للتنقيب في هذه المواقع^(٢) ونسبت المديرية احد منتسبها لتمثيلها في الهيئة ومنحت الجامعة إجازة التنقيب وكانت بذلك أول إجازة تنقيب تمنح إلى هيئة علمية عراقية من خارج دائرة الآثار.

بدأ العمل في سور نينوى الشمالي في أواسط شباط من العام ١٩٦٨، وبعد مدة وجيزة لا تتجاوز الشهر أمكن تحديد مخطط بوابة أد العام وتثبيت أبعاد قاعة الحرس وأبراج الطين والحجر الملاصقة لها من الجانبين من الداخل والخارج.

وقد أكدت النصوص المسمارية التي وجدت منقوشة على قطع الآجر التي كانت تغلف الأجزاء السفلي من جدران القاعة ما ذكره الملك الآشوري سين اخي اربيا (٧٠٥-٦٨١ ق.م) في نصوصه الكثيرة المكتشفة بخصوص إعادة بناء سور نينوى وبواباتها الذي زاد في ارتفاعه وجعله بارتفاع 'الجبال'.

"سين اخي اربيا، ملك العالم، ملك بلاد آشور، أعدت بناء سور نينوى الداخلي والخارجي مجدداً ورفعته بارتفاع الجبال".

لقد أوضحت التنقيبات التي أجريت في هذا الجزء من السوران البوابة كانت تتألف من مدخل رئيس يعلوه قوس تصف دائري يرتفع إلى سبعة أمتار ونصف المتر، يتقدم المدخل ساحة مستطيلة واسعة يتقدمها من الخارج خندق كان بمثابة خط دفاع أول وربما كان يعلو الخندق جسر خشبي يستخدم عند الدخول وقت السلم. ينفذ المدخل إلى قاعة واسعة ٣٧×٢٣ م ترتفع جدرانها المشيدة باللبن (الآجر المجفف بالشمس) إلى تسعة أمتار إلا أن الأجزاء الباقية لا يتجاوز ارتفاعها سبعة أمتار. وتؤكد الأدلة الأثرية أن القاعة كانت مسقفة بقبو طولي نصف دائري مبني بالآجر المفخور (الطابوق) إذ عثر على كميات كبيرة منه وقد سقطت في وسط القاعة. ينفذ من القاعة إلى داخل المدينة من خلال مدخل مشابه في شكله وقياساته للمدخل الرئيسي يقع قبالة تماماً إلا أن التعرية قد أزلت معظم أجزائه.

كما بينت التنقيبات ما آلت إليه المدينة في أواخر أيامها وقبل سقوطها بأيدي الجيوش الغازية في العام ٦١٢ ق.م. إذ اضطر المسؤولون عن الدفاع عنها إلى تضييق المدخل بجدران إضافية. ومن الجدير بالملاحظة أن هيئة التنقيب كشفت عن آثار الحريق الذي أصاب البوابة ولاسيما بقايا الباب الخشبي المتفحمة إلى جانب العثور على عدد من الهياكل العظمية الخاصة بالجنود المدافعين وفي عدد منها رؤوس السهام التي نالت منهم.

لقد حرصت هيئة التنقيب على المحافظة على القوس الكبير الذي يعلو المدخل باعتباره النموذج الوحيد المكتشف كاملاً حتى الآن في مدينة نينوى كما حافظت على أقواس مداخل الممرات الجانبية الثانوية التي كانت تؤوي إلى سطح القاعة^(٣). وكان من بين أهم الملتقطات الأثرية منشور من الفخار ذي ثمانية أضلاع وقد دون عليه أخبار الحملات الأربعة الأولى التي قام بها سين اخي اربيا^(٤).

حاولت هيئة التنقيبات أن تضع الأسس العلمية التي يجب أن تعتمد عليها جميع هيئات التنقيب والمتضمنة صيانة الموقع الأثري الذي يتم التنقيب فيه بأسلوب علمي دقيق وعدم تركه عرضه لعوامل الطبيعة وإلى عبث العابثين من سراق الآثار كما فعلت ذلك البعثات الأجنبية في المواقع الأخرى لذا باشرت الهيئة بإعادة بناء بوابة آدد والسور والأبراج المحيطة بها بالمواد الإنشائية ذاتها التي استخدمت في بنائها أول مرة على الرغم من الكلفة الباهضة التي تحملتها الجامعة من أجل تحقيق ذلك. وقامت بصيانة الموقعين الآخرين اللذين عملت فيهما، وهما قلعة باشطابيا ومدينة تريبص الآشورية، إلا أن الصيانة كانت إلى ارتفاع محدود من الجدران لا يتجاوز المتر. ويبدو أن هذا الأسلوب في المحافظة على المواقع الأثرية المنقب فيها لم يرق للبعثات الأجنبية إذ انها لم تقم حتى الآن بصيانة أي من المواقع الأثرية التي عملت فيها.

أما بالنسبة لموقع باشطابيا الإسلامي، فنظراً للحالة السيئة التي كانت عليها جدران القاعة المطلة على نهر دجلة واحتمال انهيارها عند أي تدخل خارجي، فقد أثرت هيئة التنقيب العاملة فيها الحفر في الأجزاء الأخرى من أبنية القلعة التي غطتها الأتربة والأنقاض والواقعة إلى الجنوب من الجدران الظاهرة المهدة بالانهيار وقد أمكن استظهار مخطط البناء وأسس الجدران التي كانت تابعة للقلعة وعثر على عدد كبير من الملتقطات الأثرية ولاسيما من الحباب الفخارية المنقوشة بأسلوب البارونيين^(٥) كما قامت الهيئة بصيانة الموقع وإعادة بناء الجدران المستظهرة إلى ارتفاع محدود واستمر العمل لموسمين كاملين الأول بدأ في ١٢/ حزيران/ ١٩٦٩ والثاني في ٦/ ٣/ ١٩٧١^(٦).

ومن الجدير بالإشارة أن احد الطلبة الذين كانوا يعدون لرسالة الماجستير في الآثار الإسلامية قام بإجراء مجسات في عدد من الجوامع والمساجد في الموصل لاستظهار المداخل الأصلية^(٧).

لقد تمكن الباحث من استظهار محراب مسجد الشماعين واكتشاف بقايا محرابين من الرخام من العهد الأتابكي والثاني من العصر الإيلخاني واستظهار المدخل الرئيس للجامع النوري والمدخل الأصلي لجامع الإمام إبراهيم. وفي أواخر العام ١٩٦٨ وبعد استحصال الموافقات الأصولية، باشرت هيئة للتنقيب^(٨) في تل شريخان (شريف خان) القريب من أبنية الجامعة والذي تشير النصوص المسماة المكتشفة انه كان يضم بقايا مدينة تربيص الآشورية. وكان المنقب الانكليزي ليرد قد قام بعمل مجس في التل في أواسط القرن التاسع عشر إلا انه لم يجد من الملتقطات الأثرية ما يشجعه على الاستمرار في حفرياته ففعل راجعاً إلى نينوى الغنية بكنوزها الأثرية.

عملت هيئة تنقيبات الجامعة لثلاثة مواسم متعاقبة أمكن خلالها الكشف عن أجزاء كبيرة من المدينة الآشورية التي تبين انها كانت مقرراً لولي العهد الآشوري إذ كشف عن بقايا قصر ولاية العهد (بيت ريدوتي) وبقايا بناء المسيح المقدس (بيت ريمكي). إضافة إلى ذلك، كشف عن أجزاء من معبد نرغال الذي سميت، كما يظن، إحدى بوابات نينوى الرئيسة نسبة إليه. أسفرت التنقيبات عن العثور على لقي أثرية كثيرة كان أهمها اسطوانتان فخاريتان تحمل كل منهما نصاً مسامياً يذكر تفاصيل حملة الملك سين احي اريبا إلى بلاد بابل وتخليداً لذكرى إعادة بناء معبد نرغال:

"في ذلك الوقت كان أيغال. لام + ميس، معبد إل نرغال الذي في مدينة تربيص الذي بناه شلمان أشارد

بن آشور ناصر ايلي بن توكلي نورتا الذي سبقني، قد أصبح متهدماً...."

ثم يستمر حديث الملك إلى نهاية النص ذاكراً تفاصيل إعادة البناء وتوسيعه^(٩).

وبعد أن تم الكشف عن بقايا الأبنية الرئيسة الثلاثة، قامت الهيئة بصيانتها إلى ارتفاع محدود وإكساء الجدران من الأعلى بالجص للمحافظة عليها، إلا أن الإهمال الذي أصاب الموقع بعد ذلك وما حدث في المنطقة من تخريب وتجاوز اضر بالموقع وبالصيانة وترك الموقع تحت رحمة عوامل التعرية المستمرة على الرغم من أهمية الموقع التاريخية والآثرية باعتباره يضم بقايا اثنين من الأبنية المهمة إلى جانب المعبد ونأمل أن تلتفت الجامعة مستقبلاً لاستئناف العمل فيه وصيانته بأسلوب أكثر ديمومة والمحافظة على آثاره المستظهرة.

ومن الجدير بالإشارة انه بينما كان العمل جارياً في آدد وشريخان علمت الهيئة أن العمال الذين كانوا يقومون بتبليط احد شوارع الجامعة في المنطقة المقابلة لبوابتي نرغال وآدد، عثروا على ألواح من الحجر كبيرة تغطي أرضية الشارع فسارعت الهيئة للكشف عن تلك الألواح وتبين لها بأنها تمثل جزءاً من التبليط الذي كان عليه الشارع الملكي وقت الملك سين احي اريبا الآشوري وان ذلك الشارع كان يربط بين بوابة نرغال في نينوى ومعبد نرغال في تربيص والذي ورد ذكره في النصوص المسماة التي حذرت من التجاوز على الشارع ونصت على عقوبة من يفعل ذلك.

لم يتوقف نشاط الجامعة الآثرية عند التنقيب والصيانة بل رافق ذلك وضع الخطة العلمية اللازمة لتأسيس متحف خاص بالجامعة لعرض الملتقطات الأثرية التي يتم اكتشافها في المواقع التي تنقب فيها الجامعة من اجل الدراسة وتعريف الطلبة بأهميتها قبل تسليمها إلى دائرة الآثار إلى جانب ذلك، كانت خطة الجامعة أن تعمل على المحافظة على التراث الشعبي لمدينة الموصل من خلال تجسيد العادات والتقاليد التي كانت سائدة فيها إلى أواسط القرن العشرين وجمع الآلات والأدوات المنزلية وتلك الخاصة بالحرف اليدوية فصدر الأمر الجامعي بتأسيس متحف خاص بالجامعة في ١٩٦٨/٥/١، وعهدت مسؤولية تأسيسه والإشراف عليه إلى كاتب المقال ومنح الصلاحيات الإدارية والمالية اللازمة لتنفيذ ذلك وخصص مبلغ متواضع في ميزانية الجامعة (قدره ثلاثة آلاف دينار فقط) لتغطية نفقات التأسيس وشراء الآلات والأدوات والملابس والأزياء الشعبية واختيرت إحدى البنايات التسعة التي كانت تشغلها كليتي العلوم والآداب ليكون مقرراً للمتحف ومكاناً للعرض وفي نهاية تلك السنة تم افتتاح قاعتين رئيسيتين ضمت الأولى منهما نماذج من الملتقطات الأثرية التي كشفت عنها هيئة تنقيبات الجامعة في آدد وتربيص وباشطابيا وبعض المسكوكات التي أمكن شراؤها من الأسواق المحلية وضمت الثانية تراث المدينة الشعبي من خلال تجسيد العادات والتقاليد والحرف اليدوية بتمثيل جيسية قام بعملها النحاتون^(١٠) عاملون في المتحف متخذين من متحف العظم في دمشق أنموذجاً لذلك. وكان متحف الجامعة الأول من نوعه في العراق وحظي بترحيب وتقدير كبيرين مما دفع عدداً من المسؤولين في أمانة

العاصمة وبلدية السلیمانیة إلى إرسال ممثلها لزيارة المتحف والإطلاع على موجوداته وأسلوب العمل فيه ومن ثم تأسيس متاحف مشابهة وهذا ما حدث فعلاً^(١) وكان من نتائج نقل موجودات المتحف ومعروضاته المتكرر أن فقد المتحف جانباً من بريقه الذي تميز به في السنة الأولى من تأسيسه إلا أن الجهود حثيثة الآن لتطويره وجعله أفضل مما كان عليه.

وفي العام ١٩٧٠ أعيدت هيكلية الجامعات العراقية بعد تأسيس وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وتقرر فتح قسم للآثار في كلية الآداب بجامعة الموصل قبل في دورته الأولى (البيتمية) سبعة عشر طالباً فقط وكان تأسيسه نتيجة متوقعة للنشاط الواضح الذي قامت به الجامعة في حقل الآثار. ولأسباب غير معروفة حتى الآن تقرر إيقاف القبول فيه في السنة التالية لتأسيسه واستمر طلبة الدورة الوحيدة في دراستهم وقد حصل أربعة منهم على شهادات عليا من جامعات عالمية رصينة كان من بينهم الأستاذ الدكتور علي ياسين والدكتور وليد محمد صالح والدكتور تحسين مصطفى.

ونظراً للفراغ الذي تركه إيقاف القبول في قسم الآثار وعلى الرغم من مطالبة الجامعة المستمرة لإعادة القبول فيه، فقد تقرر تأسيس مركز للبحوث الأثرية والحضارية في العام ١٩٧٢ يأخذ على عاتقه الاستمرار في تنفيذ المشاريع التي باشرت بها الجامعة وتنفيذ البرامج التي وضعتها لذلك وتوحيد جهود المتخصصين بالآثار من تدريسي الجامعة الذين كانوا يتوزعون في أقسام التاريخ في كليتي الآداب والتربية وقد نشط المركز في مجال البحث العلمي نشاطاً ملحوظاً إذ قام المنتسبون فيه بتأليف العديد من الكتب ذات العلاقة أو ترجمتها بالإضافة إلى نشر البحوث الخاصة بالتقنيات التي أجرتها الجامعة كما استقطب المركز عدداً من الأساتذة الأجانب كان منهم وفداً فرنسياً من جامعة كليمون فرا ضم اثنين من الأساتذة المتخصصين بالآثار وخمسة من طلبة الدراسات العليا بهدف المعاشية مع هيئة تنقيبات الجامعة التي كانت تعمل في موقع مصيفنة في منطقة زمار كما تعاقدت الجامعة مع احد أساتذة جامعة بريطانية، وهي جامعة كارديف، من المتخصصين باللغة الأكاديمية على إلقاء محاضرات على طلبة الدراسات العليا لمدة فصل دراسي كامل إذ فتحت الجامعة دراسة الماجستير بشكل خاص لطلابين اثنين اجتاز احدهما الامتحان ومنح بعثة دراسية إلى لمملكة المتحدة حيث أكمل دراسته للدكتوراه في جامعة كارديف وهو الآن من الأساتذة المتميزين عالمياً في اختصاصه كما استضافت الجامعة احد الأساتذة الألمان المشهورين من جامعة ينا لإلقاء المحاضرات والمشاركة في أعمال التنقيب التي تقوم بها الجامعة في منطقة زمار ورغبة في إعداد الكوادر المتخصصة، فقد قررت كلية الآداب فتح فرع خاص بالحضارات القديمة في قسم التاريخ يبدأ التخصص فيه من السنة الثالثة ويركز في السنتين الأخيرتين على اللغات العراقية القديمة وحضارة العراق بديلاً عن قسم الآثار، وقد أوقف القبول في الفرع بعد أن أعيد القبول في قسم الآثار في العام ١٩٩٤، أي بعد توقفه بأكثر من عشرين سنة وعاد معه نشاط المتخصصين بالآثار بعد أن زاد عددهم والتحق بهم عدد من الطلبة الذين انهوا دراستهم خارج القطر.

ونظراً لتوفر الكادر العلمي اللازم للدراسات العليا، قررت كلية الآداب فتح باب القبول لدراسة الماجستير في التاريخ القديم وكانت الأفضلية في القبول لخريجي قسمي الآثار والتاريخ / فرع الحضارة وقد قبل عدد من الطلبة المتفوقين ومنحوا شهادة الماجستير كانت بذلك الأساس لدراستهم التالية للحصول على شهادة الدكتوراه ويشكلون الآن غالبية أساتذة قسم الحضارة في كلية الآثار.

ومع توقف العمل في بوابة أدد ومدينة تريبص الآشورية لأسباب مالية، فقد سارعت الجامعة إلى تلبية النداء الذي أطلقته المؤسسة العامة للآثار والتراث لإنقاذ المواقع الأثرية المهتدة بالغمر نتيجة تنفيذ مشاريع الري الكبرى سد الموصل وسد حميرين وسد القادسية والذي تعهدت فيه المؤسسة تغطية نفقات التنقيب. لذا اختارت هيئة تنقيب الجامعة عدداً من المواقع في المنطقة التي ستغمرها مياه سد الموصل وهي كل من تل أبو ظاهر وتل مصيفنة وتل سلال وتل ضويج وكلها واقعة في وقرب بلدة زمار التي كانت هي الأخرى مهتدة بالغرق. أما في منطقة سد حميرين، فقد اختارت الهيئة موقع تل حلاوة وكان يشرف على هيئات تنقيب الجامعة آنذاك مركز البحوث الأثرية والحضارية.

ففي تل أبو ظاهر الواقع إلى الشمال من زمار بمسافة ١٥ كم، باشرت الهيئة عملها في ٢١/شباط/١٩٧٧^(١٢) واستمر الموسم الأول لمدة أربعة اشهر وكان موسماً تمهيدياً أمكن خلاله تحديد الطبقات السكنية والأدوار الحضارية التي مرت على الموقع بشكل تقريبي استناداً إلى الملتقطات الأثرية وتتابع الطبقات السكنية وقد أمكن تحديد عشر طبقات سكنية في الخندق الذي حفر في أعلى نقطة في التل. وكان طول الخندق ٢٢ متراً وعرضه ١٥ متراً وعمقه عشرة أمتار وقد تبين أن أقدم الطبقات المكتشفة فيه يرقى تاريخها إلى بداية الألف الثالث قبل الميلاد وأخرها إلى أواسط الألف الثاني. وحاولت الهيئة مقارنة ما كشف عنه من ملتقطات أثرية في هذا التل مع مثيلاتها في المواقع المجاورة وكذلك تمت المقارنة مع موقعي شاهربازار وتل براك اللذان يرجعان إلى التعاقب الحضاري نفسه الذي حدد في تل أبو ظاهر^(١٣).

وفي الموسمين الثاني والثالث من تنقيبات الجامعة في تل أبو ظاهر^(١٤) للمدة من ٢١/حزيران/١٩٧٨ ولغاية ١٥ حزيران ١٩٧٩، تم تحديد تاريخ الطبقات السكنية الأخرى التي سبقت الطبقة العاشرة وأكّدت تاريخ جميع الطبقات الخمسة عشر بدءاً من مدة السيطرة الفرثية في الطبقة الأولى من الأعلى نزولاً إلى عصر فجر السلالات الذي تعود إليه الطبقات الثامنة والتاسعة والعاشرة وعصور ما قبل التاريخ التي تعود إليها الطبقات الخمسة الأخيرة والتي ربما يرقى أقدمها إلى أواسط الألف السادس.

وتؤكد الملتقطات الأثرية، وغالبيتها من الفخار، وجود صلات حضارية بين منطقة تل أبو ظاهر وكل من بلاد الشام من جهة الشمال وحضارة وسط وجنوب بلاد الرافدين من جهة الجنوب^(١٥).

كما ساهمت جامعة الموصل في العام ١٩٧٨ في حملة إنقاذ المواقع المهتدة بالغرق نتيجة تنفيذ مشروع سد حميرين واختارت موقع تل حلاوة للتنقيب فيه^(١٦).

يتألف الموقع من تلين رئيسيين متجاورين ترتفع أعلى نقطة فيهما ١٢ متراً عن مستوى السهل المحيط بهما ويحيط بالتلين مجموعة من التلال الصغيرة مما يشير إلى أن الموقع المختار يمثل المركز الرئيسي لمجموعة التلال. باشرت الهيئة أعمالها في شباط ١٩٧٨ وبعد إزالة الطبقة السطحية التي تشير الملتقطات الأثرية فيها من كسر الفخار أنها ترقى بتاريخها إلى مدة السيطرة الفرثية والساسانية تبين أن الطبقة الأولى فيها بقايا أسس جدران بيوت خاصة من القرون الأولى من العصر البابلي القديم إلى جانب العثور على أختام اسطوانية التي تؤكد نسبة الطبقة إلى هذا العصر^(١٧).

تم العثور على أكثر من مائتي أنية فخارية كاملة وآلاف الكسر الفخارية إلى جانب الملتقطات الأخرى مثل دمي الطين terracotta^(١٨) وآلات وأدوات من الحجر والبرنز التي ساعدت على تأريخ الطبقات السكنية في الموقع في العصور السابقة للعصر البابلي القديم وحتى عصر فجر السلالات.

وقامت الهيئة نفسها برئاسة د. عادل نجم عبو بالتنقيب في تل مصيفنة الذي كشفت فيه عن بقايا كنيسة من طراز بازوليكاً وقد استضافت الهيئة اثنين من الأساتذة الفرنسيين ومعهم خمسة من طلبة الدراسات العليا مدة شهر كامل بهدف إطلاعهم وتدريبهم على أسلوب التنقيب.

ونظراً لضرورة التنقيب بسرعة وكثافة لاقترب موعد انجاز مشروع الري وغمره المنطقة، فقد قامت هيئة التنقيب التابعة للجامعة^(١٩) بالتنقيب في كل من تل سلال القريب من بلدة زمار وتل ضويج الواقع في زمار نفسها والذي كان اسمه 'ضويج' يطلق على زمار نفسها. باشرت الهيئة أعمالها في تل سلال في أيار من العام ١٩٨٢ واستمر العمل لثلاث مواسم متتالية. وتل سلال من التلال الواسعة التي لا يمكن الكشف عن كل أجزاءها في مدة قصيرة مما اضطر الهيئة أن تعتمد أسلوب المربعات في الحفر ونحت المربعات التي تظن انها تضم آثاراً أكثر أهمية وتمثيلاً للموقع وبخاصة تلك الواقعة على الأجزاء العليا من التل في الزاوية الشمالية الغربية. أن سعة التل ووقوعه وسط مستوطنات عدة صغيرة يدفع للظن بأنه كان يمثل مركزاً مهماً لقبية المستوطنات. ويطل التل على سهل خصب جداً يفصل بين الموقع وبين نهر دجلة وتشير بقايا الطبقة العليا وتؤكد التنقيبات أن حصناً إسلامياً واسعاً كان قد شيد في الموقع على

أرضية الطبقة الثانية وقد كشف عن أجزاء من سور الحصن وحددت فيه المدخل الرئيسي والمداخل الثانوية الأخرى إلا أن وقوع أرض الحصن قرب سطح التل طالت دون معرفتنا بالمخطط الذي كان عليه البناء داخل السور وتسير بقايا السور المكتشفة ولاسيما في الزاوية الشمالية الغربية إلى التحصينات الكثيرة التي زود بها الحصن كالمزاحل والأبراج ويلاحظ أن معظم أجزاء السور كانت قد شيدت بالحجر واستخدم الجص كمادة لاصقة وهذا ما تؤكد بقايا أسس السور في قسمه الشمالي.

وقد تم العثور على كميات كبيرة من الكسر الفخارية المختلفة التي تمثل الأدوار الحضارية والطبقات السكنية التي مرت على الموقع إلا أن غالبيتها من العصور المتأخرة ويظن أنها تعود إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاد وكان السور قد شيد في القرن الثاني عشر وقد اختير عدد من المربعات في أجزاء مختلفة من التل للكشف فيها عن الطبقات السكنية المتعاقبة التي مرت على المستوطن وأمكن تحديد خمسة عشر طبقة سكنية التي يرقى أقدمها إلى الألف الثالث قبل الميلاد.

وفي العام ١٩٩٢ علمت مفتشية آثار نينوى باكتشاف بناء مشيد بالطابوق في منطقة القاضية بالقرب من أبنية الجامعة وذلك أثناء قشط الأتربة من سطح الأرض التي سيقام عليها احد الأبنية الرئاسية، فشكلت مديرية الآثار العامة لجنة للتحري والتنقيب وطلبت من كل من أ.د. علي ياسين احمد و أ.د. جابر خليل إبراهيم الالتحاق بالهيئة ومعاونتها في أداء مهمتها. وقد قاما فعلاً بالمهمة. وقامت الهيئة بالتنقيب في قرية القاضية القريبة من تل الخرازي وتبين أن البناء الذي كشف عنه أثناء العمل عبارة عن مدفن آشوري وبعد التحري في المنطقة المجاورة عثر على ١٣ قبراً وقد ضم المدفن والقبور لقي أثرية مهمة ومتنوعة فخارية ومعنوية إلى جانب الكشف عن مداميك من الحجر شيدت على شكل سد تعترض وادي الخرازي وبعض هذه المداميك تؤلف جزءاً من ثورين وعليها كتابات مسمارية. وقد نقلت الملتقطات الأثرية إلى المتحف الحضاري للدرس والمعالجة. وقد ورد اسم الملك سين اخي اريبيا في إحدى الكتابات المسمارية المكتشفة في المدفن^(٢٠).

وفي مايس/١٩٨٣ باشرت هيئة التنقيب في تل ضويج الواقع ضمن حدود قصبه زمار وهو تل صغير نسبياً يقع في بداية الطريق الداخل إلى زمار وهو على شكل مخروطي مرتفع. اعتمدت الهيئة الأسلوب نفسه الذي اعتمدته في تل سلال وهو أسلوب تقسيم التل إلى مربعات واختبر عدد منه للحفر والكشف عن تسلسل الطبقات السكنية، إلا أن التنقيب اظهر فقر الموقع بالملتقطات الأثرية التي يمكن أن تحدد تاريخ الطبقات السكنية باستثناء الطبقات العليا التي يعود احدها إلى مدة السيطرة اليونانية (الهيلنستية) في حين يرقى تأريخ الطبقات السفلي إلى الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد^(٢١).

ورافق نشاط الجامعة في حقل التنقيب عن الآثار وصيانتها نشاط المتخصصين بالآثار في التدريسيين العاملين فيها والمنتسبين إلى أقسام التاريخ في كليتي الآداب والتربية من اجل إعادة فتح القبول في قسم الآثار وسلوكوا من اجل تحقيق ذلك كل الطرائق المتاحة إلى أن تمت الموافقة على إعادة فتح القسم في العام ١٩٩٤ وتبع ذلك فتح قسم خاص بالدراسات المسمارية وقد حمل القسمان مسؤولية الإشراف على الدراسات العليا إلى جانب طلبة الدراسات الأولية وقُبل عدد محدود من الطلبة في كل قسم لكي يمكن إعداد كوادر علمية متخصصة كفوءة. واستمر التدريسيون بتأليف الكتب المنهجية والمساعدة وترجمة عدد من الكتب الأجنبية المهمة لتكون في متناول أيدي الطلبة واعتمد عدد من تلك الكتب في الجامعات العراقية الأخرى كتباً منهجية أو مساعدة وقد زاد عدد الكتب التي أصدرها منتسبو جامعة الموصل على ثلاثين كتاباً إلى جانب عشرات البحوث العلمية المنشورة في الدوريات العلمية المختلفة وزاد عدد التدريسيين المتخصصين بالآثار القديمة والإسلامية والدراسات المسمارية على الرغم من تسرب عدد منهم خارج القطر.

ونظراً لاختلاف طبيعة دراسة الآثار عن دراسة العلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى وضرورة التركيز في التعليم على الجانب العملي ورغبة في توحيد جهود جميع المتخصصين بالآثار فقد قدمت دراسة تفصيلية حول ضرورة فتح كلية خاصة بالآثار تكون الأولى من نوعها في العراق وقد حضيت الدراسة بقبول وتأييد السيد رئيس الجامعة والسادة

أعضاء مجلس الجامعة واتخذت الإجراءات اللازمة لإصدار الأمر الوزاري القاضي بإنشاء كلية الآثار وقد تمت جميع الموافقات على ذلك وصدر الأمر الوزاري بإنشاء الكلية والقبول فيها اعتباراً من العام الدراسي ٢٠٠٨-٢٠٠٩ ونقل إليها قسمي الآثار والدراسات المسماة مع جميع العاملين فيهما. ندعو من الله تعالى أن يأخذ بيد جيل الشباب العاملين في الكلية والمشرفين عليها لإكمال المسيرة التي بدأها الرعيل الأول ويحققوا الأهداف التي أسست الكلية من أجلها والله ولي التوفيق.

الهوامش

- (١) تالف الوفد من السيد رئيس الجامعة، الأستاذ محمود الجليلي أول رئيس للجامعة والسيد عميد كلية الآداب الدكتور عبدالمنعم رشاد والسيد مدير متحف الموصل الأستاذ سعيد الديوه جي والمتخصص بالآثار الدكتور عامر سليمان وقام الوفد بزيارته بعد شهر واحد فقط من تأسيس الجامعة في ١٩٦٧/٤/١.
- (٢) كانت هيئة تنقيب جامعة الموصل تتألف من كاتب المقال د. عامر سليمان رئيساً والسادة م. عادل نجم عبو وفاروق ناصر الراوي والمساح إسماعيل هادي والمصور هاشم إسماعيل والرسام ضرار القدو أعضاء وكان يمثل مديرية الآثار العامة السيد عبدالله أمين أغا ثم السيد منهل جبر.
- (٣) ينظر: عادل نجم عبو، الصيانة وأساليب التسقيف في بوابة أدد، سومر ٣١ / ١٩٧٥، ١٥٧-١٦٤.
- (٤) ينظر: عامر سليمان، نتائج حفريات جامعة الموصل في أسوار نينوى، آداب الرافدين، العدد الأول، ١٩٧١، ٤٥-٩٧.
- (٥) طلعت الياور، دراسة للحباب الفخارية المكتشفة في موقع باشطابيا بالموصل، آداب الرافدين، ٤ (١٩٧٢)، ٧٧-١٠٨.
- (6) Dr. Yawer, T.R., The Fortress of Bash-Tabiya, Adadb- al-Rafidain, Vol.4, 1972, pp. 32-48.
- عمل في الهيئة رئيساً د. طلعت رشاد الياور يعاونه م. عبدالواحد سعدالله الرمضاني والمهندس موفق احمد والتحق بالهيئة مسلم محمد احمد إلى جانب الفنيين الذين كانوا يعملون في بوابة أدد.
- (٧) كانت أعمال الطالب وهو احمد قاسم الجمعة، فردية وبموافقة السيد مدير الآثار العام لذا لم تنشر في الدوريات العلمية. وقد ضمت رسالة الماجستير وأطروحة الدكتوراه تفاصيل ذلك.

- (٨) كانت هيئة التنقيب تتألف من عامر سليمان رئيساً والسادة فاروق ناصر الراوي ومسلم محمد احمد المعيددين في كلية الآداب والمهندس موفق احمد والمصور نور الدين حسين والتحق بالهيئة عبدالواحد الرمضاني والمهندس باسل عبدالستار سليمان ومثل المديرية نهاد عاصم وعبدالله أمين أغا ومحفوظ نجيب بالتعاقب.
- (٩) ينظر حول ترجمة النص عامر سليمان، الكتابة المسمارية والحرف العربي، موصل ١٩٨٢ وحول نتائج التنقيبات: عامر سليمان، اكتشاف مدينة تريبصو الآشورية، آداب الرافدين، ٢٢، ١٩٧١.
- (١٠) كان يعمل في المتحف كل من النحاتين السادة ضرار القدو وراكان دبدوب وفوزي إسماعيل في حين عمل في مجال الرسم، ولاسيما رسم المعارك الآشورية القديمة، الفنان نجيب يونس.
- (١١) زارنا في حينه السيد أمين عاصمة بغداد شخصياً والسيد ممثل بلدية السليمانية.
- (١٢) تشكلت هيئة التنقيب في الموسم الأول من د. عادل نجم عبو رئيساً والسادة م. عبدالملك يونس مساعداً ووليد محمد صالح و م. غسان طه ياسين وعلي ياسين الجبوري وسلطان درويش أعضاء ومثل المؤسسة العامة للآثار محمد عجاج جرجيس وغالب محمد محمود على التوالي.
- (١٣) ينظر: عادل نجم عبو، نتائج تنقيبات جامعة الموصل في تل أبو ظاهر، سومر، ٣٧، ١٩٨١، ٨١-١٠٠.
- (١٤) ترأس الهيئة في الموسمين الثاني والثالث م. عبدالملك يونس وضمت كل من السادة وليد محمد صالح وذنون يونس وسلطان درويش ومثل دائرة الآثار السيد غالب محمد محمود.
- (١٥) م. عبدالملك يونس، نتائج تنقيبات هيئة جامعة الموصل في تل أبو ظاهر الموسمين الثاني والثالث، سومر، ٣٧، ١٩٨١، ١٠١-١١١.
- (١٦) تشكلت الهيئة من د. عادل نجم عبو رئيساً و د. فاروق ناصر الراوي وم. غسان طه ياسين وسلطان درويش وممثل الآثار عبدالجبار عبدالحميد.
- (١٧) ينظر: Adil N. Abdu, The Excavation at Tell Halawa, Sumer, 40, 1979, 122-129.
- (١٨) ينظر: غسان طه ياسين، دمي الطين.
- (١٩) كانت الهيئة برئاسة أ.د. عامر سليمان وعضوية السادة أ.د. جابر خليل وأ.د. عادل نجم والسيد سلطان درويش أعضاء ومثل دائرة الآثار والتراث حنا يلدا وسالم يونس على التوالي.
- (٢٠) ينظر: أ.د. علي ياسين احمد و أ.د. جابر خليل إبراهيم، التنقيب في منطقة القاضية، آداب الرافدين، ٣٢، ١٩٩٩، ص ١٤٤-١٧٠.
- (٢١) ينظر: عامر سليمان وجابر خليل، نتائج تنقيبات كلية الآداب في جامعة الموصل في موقع سلال، آداب الرافدين، ٤٨، ٢٠٠٧، ٢٦-١.